

سعد الحريري يعود بنا الى عرض سعود الفيصل.. هذا أخطر ما ورد في خطابه

إسماعيل القاسمي الحسني

لا أريد الدخول في تفاصيل خطاب استقالة سعد الحريري، لا من ناحية الشكل و لا المضمون لسبعين بسيطين للغاية، أولهما من الجانب الشكلي فإن إعلان الاستقالة من دولة أجنبية فيه إهانة بالغة للشعب فضلا عن المنصب، و هو سابقة في السلوك السياسي تکاد لا تصدر إلا عن حالات عربية مصادبة بتکلس عقلي؛ أما من ناحية المضمون و دون تحامل فإن معظم ما ورد نصا في الخطاب كما قرأته حرفيًا، فارغ لا يمت بصلة للواقع السياسي اللبناني، وباؤه ليس أكثر من كتلة من المفردات الإنسانية المحشوة بالهجوم غير المؤسس و لا المسؤول على إيران و حزب الله؛ و أصدقكم القول أن الإطالة في قراءته ليست أكثر من مضيعة للوقت و لا أدل على صحة ذلك من حالة الصدمة و التعبير عن المفاجأة لدى تيار سعد الحريري نفسه، ما يعني أن كل ما قدّمه في خطابه إن لم يكن غير صحيح فلا أقل من أنه ملتبس جدا خاصة في ظل الطرف الذي أقدم فيه على هذا الموقف، الذي كشفت منصته بأنه موجّه أكثر منه موقف مستقل مؤسس على قناعة صاحبه.

غير أن ما شد انتباهي بقوة عبارة وردت في قلب الخطاب، و لعلها في تقديرى هي عماده الرئيسي و التي وردت حرفيًا بعد قوله ستنهض الأمة : "... و أريد أن أقول لإيران و أتباعها ستقطع (الأمة) الأيدي التي تمتد إليها بسوء، كما ردت عليكم في البحرين و اليمن، سترد عليكم في كل أجزاء من الأجزاء أمتنا الغالية و سيرتد الشر إلى أهله...".

هذا التهديد في جوهره و ليس لفظه موجه لحزب الله حصرًا و ليس لإيران، و بكل بساطة كذلك فإن حروب الأشقاء التي شنت منذ 1980 على إيران إلى غاية اليوم، هي على ساحتنا نحن و وقودها هو دماء أبناء هذه الأمة الغالية على قلوب القوم، لم يمسس إيران جغرافية و دولة مثقال ذرة من سوء، إذن أرعم بأن إيران ستضحك ملأ مشرقاً و مغربها من مثل هذه التهديدات الجوفاء.

الهدف هو حزب الله اللبناني و عناصره من أبناء الأمة "الغالبية"، و الحرب على إيران ستكون على الساحة اللبنانية العربية و ليس في مكان آخر.

وجه الخطر هنا هو التشبيه و المثل الذي استدل به سعد الحريري في تهديده، حين قال بأن الرد على

إيران سيكون مثل الرد عليها في البحرين و اليمن؛ ليرتفع السؤال الجدي: هل نحن أمام عاصفة حزم جديدة موجهة هذه المرة نحو لبنان بنفس الذرائع المعتمدة في العدوان على اليمن، و التي ساقها كمقدمة و خاتمة السيد سعد الحريري في خطاب استقالته المفاجئ و الموجه؟ التهديد بالرد على إيران في لبنان كما تم الرد عليها في اليمن ليس جديا، فقد نادت شخصيات سعودية منذ عام بهذا، و إنما الجديد في الفارق بين شخصيات تحتل موقع رسمية رفيعة فضلا عن كونها لبنانية، ما يعطي الموقف مستوى من الجدية أهم، خاصة إذا وضع في سياق الجو العام، من تصنيف حزب الله منظمة إرهابية كمسوغ شرعي للعدوان، و طبول الحرب التي يقرعها العدو الإسرائيلي، و الهجوم السياسي والإعلامي للإدارة الأمريكية على هذا الحزب.

التهديد المبطن الذي أطلقه سعد الحريري من السعودية على وطنه الثاني لبنان، بـ "عاصفة حزم" أخرى أعادني إلى نص وثيقة نشرته البي بي سي في 07/12/2010 خلاصته اقتراح عرضه وزير الخارجية الراحل سعود الفيصل في أيار 2008 على ديفيد ساترفيلد كبير مستشاري وزارة الخارجية الأمريكية حينها، بتشكيل قوة عسكرية عربية لضرب حزب الله، تدعمها الأمم المتحدة، على أن تقدم الولايات المتحدة و الحلف الأطلسي دعما لوجستيا و بحريا و جويا لهذه القوة، و بحسب ما ورد في الوثيقة فقد ادعى سعود الفيصل بأن فؤاد السنiorة موافق على هذا الاقتراح (نفي المعنى حينها علمه بالموضوع يوما بعد نشره) و مصر والأردن و جامعة الدول العربية. (لم ينفي بقية المعنيين).

لا أريد كذلك الاستطراد في عرض شواهد كثيرة على قناعة القيادة السعودية بمعية بعض الأنظمة الخليجية، بضرورة تطبيق مشروع الولايات المتحدة في تدمير الجوار العربي، ذلك أنه أرى موقف سعود الفيصل يتجاوز موافق تركي الفيصل فضلا عن تصريحات أنور عشقي و غيرهما، و لعل المتابع لا يجد عناء في رؤية هذا الخيار في العراق ثم ليبيا و سوريا و اليمن.

والخلاصة، إذا كان نص الاستقالة المكتوب الذي قرأه سعد الحريري، و الذي اختيرت مفرداته بعناية فائقة، يعتبر بداية عملية لعاصفة أخرى على بلد عربي آخر، تحت ذات المزاعم، و بتشكيل صوري لتكتل عربي/سني، فلا بد من التذكير بالتالي:

أولا- السيد حسن نصر الله اللبناني لا يحمل جنسية أخرى.

ثانيا- لا نملك إلى غاية الساعة تصريحا (فضلا عن إعلان حرب) للسيد حسن نصر الله من طهران.

ثالثا- إذا كانت نتيجة ما سمي بعاصفة الحزم (العدوان على اليمن) تحسـب انتصارا، فـما هي الـهزـيمة؟

رابعا- إذا كان هؤلاء أنفسهم يوعزون صمود النظام السوري بالدرجة الأولى إلى تدخل حزب الله، فـماذا

يمـلكـونـ أـكـثـرـ مـاـ دـفـعواـ بـهـ فـيـ سـورـيـةـ لـعـاصـفـةـ حـزمـهمـ عـلـىـ لـبـنـانـ إـسـقـاطـ حـزـبـ اللهـ؟ـ

خامسا- لمصلحة من قلب الأوضاع؟ إيران لن تخسر مثقال ذرة و هذا أمر مؤكد، كما لم تخسر مثقال ذرة في ليبيا و اليمن.

أخيرا، لا أستبعد و الولايات المتحدة منذ فترة تعمل على إشعال الحروب في عالمنا العربي، بأيدي

حلفائها من الحكام و البيادق في منطقتنا، أن يمضي هؤلاء في تنفيذ تهديدهم دونما اهتمام بالنتائج فضلا عن المآسي التي ستقع على الناس؛ لكن من المؤكد إن فعلوا فلا محالة ان هزيمة محورهم ستكون أشد و أمر^٣.

فلاح جزائري.